مسرحية

ممنوع أن تضحك
ممنوع أن تبكى
أو
حكاية الفلاح عبد المطيع

تأليف
السيد حافظ

الفصل الأول

المسرح : (بقعة ضوء على المنتصف.. يظهر الراوى)

الراوى : سيداتى.. آنساتى.. سادتى.. هذه الليلة.. سنعود إلى الوراء.. إلى زمن كان الإنسان مفقود القيمة، يهان، كان الإنسان الحيوان، قوى النفوذ والسطان، هذه الليلة نقدم لكم حكاية، وحكايتنا ليست عن هاملت أو هنرى الرابع أو حتشبسوت أو نابليون.. أو أي ملك من ملوك الأرض.

الجوقة : عن أي شيء تحكى إذاً؟

الراوى : عن عبد المطيع !

الجوقة : عبد المطيع؟

الراوى : فلاح فقير ، أجير، عيناه مسجدان وقلبه يتسع حتى يحتوى العالم ويداه صلبتان في صلابة صخر النيل، تبدأ قصته أنه ذات يوم...

الجوقة : انتظر يا رجل، لماذا تأخذنا من الدار إلى النار، نحن نعلم أن المسرح يعرض مسرحية وهذه المسرحية لابد لها من بداية ووسط ونهاية.

الجوقة : لتبدأ الحكاية.

الراوى : في كوخ.

الكورس : على شاطئ النيل.

الراوى : على هامش الطريق، فلاح فقير يعيش مع أسرته اسمه عبد المطيع.

الكورس : يزرع القمح، يحصد الحب، يوزع الابتسامة ويشترى زقزقة العصافير بأغانى الحصاد.

الراوى : ويغنى لأطفاله كل مساء وينام وهو متعب بجوار عتبة الباب لأن غرفته صغيرة لا تتسع لعشرة أفراد.

الكورس : خرج صاحبنا في الصباح.

: (ضوء على المسرح.. يظهر باب كوخ بسيط.. وكوخ آخر.. وشجرة قد بدأت تقسط كل أوراقها، وظهور عبد المطيع ينظر إلى النافذة الأخرى يلتفت يميناً ويساراً ثم يجلس ويحدث نفسه).

عبد المطيع : يومان، بلا عمل، أنت وأنا.

: (ينهق الحمار)

أعرف أنك غاضب، عندما تكون عاطلاً تغضب منى.. من الدنيا من كل شيء... السبب ليس منى.. لست مسؤولاً عن شيء مما حدث أتفهم؟

(ينهق الحمار)

أنت تفهم أكثر من أي شخص في هذه الضاحية.. (ظهور أم بثينة وهى تراقبه وهو يتحدث إلى الحمار دون أن تنطق)

عبد المطيع : أنت تفهم أكثر من رئيس الشرطة وشهبندر التجار ومن أم بثينة. (تبحث أم بثينة عن عصا بجوارها.. فتجد عصا حطب وتحملها في يدها)

أم بثينة : يومان.. وأنت كسول مثل السياسيين وكتاب القصر .. وأنت لا تحب أن تكون سياسياً أو كاتباً في القصر ولا عبداً عند أم بثينة. (ينظر فيجد أم بثينة حاملة العصا.. يلتفت في الاتجاه الآخر وكأنه لا يراها)

عبد المطيع : أنا كنت أمرح يا حمارى.. أنا وأنت فأنت بالطبع حمار وأم بثينة زوجتى.

أم بثينة : كف عن خداعى يا رجل يا ملعون.. يا منافق يا كسول.. يا مخادع.

(تجرى وهو أمامها) (تصطدم بزوج ابنتها مهند)

مهند : ماذا جرى ؟

أم بثينة : اسأله ماذا جرى ؟

مهند : ماذا جرى يا عمى.

: (عبد المطيع يختبئ وراء مهند)

عبد المطيع : اسألها يا بنى.

أم بثينة : (تحاول أن تمسكه) يفضل حماره على هذا الرجل الكسول العاطل عن العمل.

مهند : كل المدينة عاطلة عن العمل.. السوق نائم.. نهب المماليك كل شيء.

أم بثينة : أنت مثله.. كاذب ومنافق.

مهند : سامحك الله يا أم بثينة.. أنا كاذب؟

أم بثينة : ومنافق.

مهند : أنا ؟

أم بثينة : نعم.

مهند : سامحك الله.. لن أحضر لهذا البيت بعدهذا اليوم.

(يخرج من الباب)

عبد المطيع : ماذا فعلت يا امرأة.. لقد غضب زوجابنتك، سأذهب لاحضاره.

: (عبد المطيع يخرج مسرعاً)

أم بثينة : يثرثر، ويتحدث ولا يعمل مثله تماماً.

: (ظهور بثينة وهى شابة في العشرينات جميلة تختال في مشيتها)

بثينة : ماذا حدث يا أماه؟

أم بثينة : أبوك.

بثينة : ماذا جرى له.. هل أصيب بحادث ؟

ام بثينة : يا مصيبتى .. رجل بنصف عقل وابنته بلا عقل.

بثينة : ماذا جرى.. تحدثنى يا أماه.

ام بثينة : ابوك يفضل حماره هذا على.. (تشير إلى الحمار) (ينهق الحمار).

أخرس.. (ينهق الحمار)

وأنت تضحكين.. تسخرين منى.

بثينة : أنا لا أسخر يا أماه.. أنت تحدثين الحمار وكأنه إنسان.

ام بثينة : أنظرى إلى عينيه.. إنهينظر إلى ويتحدانى حقاً إنه حمار...

بثينة : أنت مثل أبى الأن تماماً.

أم بثينة : أبوك سبب بلائنا .. سبب تعاستنا هذا المعتوه.

(أصوات أطفال تصرخ)

(تخرج أم بثينة...)

أم بثينة : كفى يا ولد.. كفى يا ولد.. كفى يا بنت.. (تصبح بثينة على المسرح)

بثينة : أي فلاح طيب وأمى أيضاً.

: (تنظر للحمار) لا تغضب منهما.

صوت أم بثينة : يا بثينة.. يا ملعونة يا مصيبة.

(تخرج بثينة مسرعة)

(يدخل عبد المطيع ومعه مهند)

عبد المطيع : لا تغضب منها.

مهند : لا اعرف لماذا تفعل معى هذا.

عبد المطيع : هي تفعل هذا مع كل من تعرفه المهم بثينه.

مهند : تحبنى وأحبها.

عبد المطيع : نعم هي تحبك ولولا هذا ما فعلت هذا معك.

مهند : لا أريدها تحبنى فقط ولكن أريدها أن تكون في بيتى.

عبد المطيع : ما أخبار العمل؟

مهند : البضاعة مكدسة.. ولا عمل.

عبد المطيع : والحل ؟

مهند : هذا عصر المماليك.. كل مملوك صاحب قطعة أرض يملك الأرض ومن عليها.

عبد المطيع : ومن أتى بالمماليك إلينا؟

مهند : السلاطين.

عبد المطيع : من أتى بالسلاطين إلينا ؟

مهند : إلى هنا لا أفهم.. لقد خلقنا ووجدنا السلاطين.

عبد المطيع : (ينظر للحمار) من أتى بالسلاطين إلينا يا حمارى العزيز.

: (ينهق الحمار)

لا يدرى هو أيضاً إذا أنت تفهم أشياء كثيرة نحن لا ندريها يا ملعون.

مهند : سأتركك الآن وسأذهب للسوق.

عبد المطيع : انتظر حتى تشرب الشاي.

مهند : اشكرك.. لا داعى له.

: (يخرج مهند)

عبد المطيع : اسكت يا حمارى (يتجه إلى إحدى النوافذ في البيت المجاور)

(يطرق على إحدى النوافذ..)

(ينتظر .. عبد المطيع يجد امرأة في سن الخامسة والثلاثين)

فاطمة : صباح الخير.

عبد المطيع : صباح السعادة صباح الحب.

فاطمة : زوجتك تسمعك.

عبد المطيع : تسمعنى لا يهمنى أي شيء.. كل ما يهمنى في العالم هو أنت يا فاطمة أنت تعلمين كم أحبك.

فاطمة : عبد المطيع أخفض صوتك.

عبد المطيع : لماذا رفض أبوك المعلون أن يزوجنا منذ عشر سنوات أكرهه.. العنه، اسبه، أدعو عليه، أتمنى موته، قبل الظهر والظهر قبل العصر.. والعصر قبل العشاء والعشاء قبل الفجر، اللهم خذ عمره آمين.

فاطمة : ماذا تقول، إنه أبى يا عبد المطيع.

عبد المطيع : أعلم هذ. أعلم أننى تزوجت رغماً عنى امرأة لا أحبها وأصبح عندى تسعة أولاد والسبب أبوك..

فاطمة : ومهما فعل فهو أبى.

عبد المطيع : أعلم هذا ومن أجلك سامحه الله ومنحه القوة وأطال في عمره من أجلك أنت فقط آمين.. (يتحرك عبد المطيع)

فاطمة : إلى أين أنت ذاهب ؟

عبد المطيع : إلى السوق، سأذهب ولن أتأخر.

فاطمة : لا تتأخر.

عبد المطيع : لن أتأخر.

: (يتحرك على المسرح وهو هائم حتى يصطدم بشجرة لا يضحك) لن أتأخر .. سأحضر حالاً .. (يخرج)

(تخرج زوجته عبد المطيع تنظر إلى فاطمة)

نفيسه : أنت هنا ..؟

فاطمة : صباح الخير يا أم بثينة.

نفيسه : من أين يأتي الخير.. هل يراك أحد ويجد الخير هل يرى أحد وجهك ويشعر بالخير .. الخير عندما يرى وجهك يفر يهرب.. من أين يأتي الخير يا وجه النحس؟

فاطمة : انا وجه نحس.. سامحك الله.

نفيسة : نعم ، نعم، يا شيخة فاطمة قولى إنك طاهرة شريفة.. عفيفة.. لماذا استيقظت مبكرة.. هه؟ لماذا خرجت من منزلك في ميعاد خروج زوجى.. هه.

فاطمة : أردت أن أشم الهواء (تحاول إغاظتها)

نفيسة : هواء، ألا يوجد هواء إلا هنا ؟

فاطمة : الهواء ملك كل الناس يا نفيسه.

نفيسة : الواء ليس عند زوجى يا فاطمة، أعلم إنك كنت تحبينه وهو أيضاً هذا التعيس كل يحبك قبل أن يتزوجنى لكنه تزوجنى أنا وأرتبط بى، وأنجبت له عشرة أولاد (تشير إلى بطنها) أين سيفر منى وإذا فر منى لن يفر منهم وإذا تزوجك سأترك له ولك عشرة أولاد يا ست فاطمة.

فاطمة : استئذنك يا أمر العشرة (تدخل بيتها ، تغلف الباب تقف نفيسه على المسرح بمفردها)

نفيسة : آه، ستقتلنى غيظاً هذه المرأة ماذا تريد منى ماذا تريد من زوجى، إنه تعيس مثلها، حقير مثلها، إننى أراقبه وأراقبها.. لا أدعه لحظة يحدثها لكنه الملعون يعلم أننى أنام في ساعة متأخرة.. فيستيقظ مبكراً ويتحدث إليها.. إننا في زمن الحياء فيه اختفى.. آه لو أمسكه ذات يوم يحدثها سأمزقه أرباً وألقى بجسده على الطريق، لا، سأجعل الأولاد يمزقونه.. (تسمع صوت الحمار) أخرج أيها الحمار لتلحق بصاحبك أنت تعرف مكانه في السوق.

(الإضاءة تختفى يظهر الطريق العام.. والسوق وقد ظهرت الناس بملابس سوداء لا يلاحظ عبد المطيع أياً منهم.. يقف ينظر يميناً ويساراً)

عبد المطيع : أين مرسى.. لا أراه.. يا مرسى .. أين أنت ؟

: (يظهر مرسى قادماً من بعيد)

عبد المطيع : ها هو مرسى .. يا مرسى .. يا مرسى.

مرسى : أهلاً عبد المطيع.. أهلاً عبد المطيع.. صباح الخير.

عبد المطيع : كيف حالك ؟

مرسى : الحمد لله.

عبد المطيع : (ينظر إلى مرسى) ما هذا ؟

مرسى : عن أي شيء تتحدث.

عبد المطيع : أنت بخير.

مرسى : الحمد لله.

عبد المطيع : (ينظر إلى مرسى) ما هذا؟

مرسى : عن أي شيء تتحدث.

عبد المطيع : انت بخير.

مرسى : الحمد لله.

عبد المطيع : هل أنت متأكد أن شيئاً لم يحدث لك ولاسرتك؟

مرسى : بالطبع لا .. الحمد لله بخير بخير.

عبد المطيع : البركة فيك.

مرسى : البركة في دين محمد.. لماذا؟

عبد المطيع : من الذى مات عندكم.

مرسى : لم يمت أحد أنت لا تريدأن تخبرنى بكارثتك يا صديقى.. صارحنى قل حتى أساعدك.. صارحتك لم يمت أحد.

عبد المطيع : لقد حزنت والله. من أجل هذه المصيبة، حزنت الموت هو القضاء الذى لا مفر منه (يبكى)

مرسى : (يكاد يبكى) كلنا للموت.. كلنا ضيوف في هذه الدنيا.. حزنت من أجل من الذى مات؟

عبد المطيع : من أجل أمك.

مرسى : امى ماذا جرى لها.

عبد المطيع : ماتت.

مرسى : لا تقل هذا لا تقل هذا.

عبد المطيع : لقد حزنت والله. من أجل موت أمك فجأة هكذا يأتي الموت فجأة لمن تحب.

مرسى : (يضيق) أمى.. أمى بخير يا رجل.. من الذى قال لك أنها ماتت (يقترب من أمه) حمداً لله على سلامتك يا أمى.

الأم : (تتدخل) ماذا تريد يا مرسى ؟

مرسى : لا شيء يا أمى.

الأم : انت هنا يا عبد المطيع.

(ينظر إليها عبد المطيع فيجدها ترتدى الملابس السوداء)

عبد المطيع : كلنا لنا.. البركة فيك (يصافحها)

الأم : البركة في دين محمد...

عبد المطيع : لقد حزنت والله (يبكى)

الأم : على ماذا ؟

عبد المطيع : لم أعلم والله.

الأم : عن أي شيء تتحدث ؟

عبد المطيع : لقد مات ولا أدرى.

الأم : من الذى مات ؟

عبد المطيع : زوجك.

الأم : أخرس يا رجل.. زوجى بخير لقد تركته الأن في دكان العطار.

عبد المطيع : (يحدث نفسه) لابد وأن زوجة مرسى التي ماتت. (يحدث مرسى) لقد ماتت زوجتك إنـها امرأة كسولة متعبة اراحك الله منـها وأراحاها الله من تعذيب الناس.

مرسى : لم تمت.

الأم : لم تمت.

عبد المطيع : اذن لماذا ترتدى أنت وأمك وجيرانك الملابس السوداء؟

مرسى : ألم تسمع ؟

عبد المطيع : لم أسمع والله والعظيم لم أسمع ولو سمعت لخرجت في الحال في الجنازة فأنا لا أترك أي جنازة إلا وسرت خلفها. الحياة موعظة والموت أكبر موعظة.. لقد منعنى عن حضور الجنازة يا أم مرسى.. مرض حمارى وخرجت ابحث له عن الشعير والفول وأنت تعلمين أن ظروف الحياة قاسية لقد حزنت على موته والله.

أم مرسى : موت من ؟

عبد المطيع : لا أعرف.. موت الذى ارتديتم عليه الملابس السوداء وعلى أية حال الجنازة متعبة والموت راحة. إنسان يذهب وإنسان يأتي.

ام موسى : ماذا جرى لعقلك؟ هل جننت..؟ يبدو أن زوجتك ضربتك على رأسك بالعصا، لذلك ذهب عقلك إنى ذاهبة.

عبد المطيع : إلى أين ؟

ام موسى : إلى البيت لأعد لك كوباً من الشاي يرجع لك عقلك المخبول.

عبد المطيع : وبجواز الشاي فطيرة.. أم مرسى سأحضر لك حالاً.

ام مرسى : هيا، يا مرسى استعد للصلاة أبوك قد سبقنا إلى المنزل (تخرج من المسرح).

عبد المطيع : مرسى يا صديقى، جئت إليك اسألك حلاً لمشكلتى.

مرسى : أي مشكل ؟

عبد المطيع : زوجتى.

مرسى : مرة ثانية ؟

عبد المطيع : وثالثة ورابعة وخامسة.

مرسى : سأحكى لك تبدأ الحكاية (موسيقى وانتقال الإضاءة)

الكورس : كان عبد المطيع لا يعرف عن العالم، إلا الفأس والأرض العمل لم يجلس يوماً مع السلطان، لم يجلس في الديوان إلا مرة واثنتين في شهر رمضان عندما تفتح القصور اللعامة لم يتحدث مع جيرانه كيراً كان يحب مرسى أبو العلا.. وكان يقول أن الجيران تجلب الأحزان، وهكذا علمه أبوه.

ـــ : انجبت له زوجته عشرة أطفال.. الأول غبى بالفطرة والأخير عبى الاكتساب.

ـــ : لم يدخل كُتاباً لتعليم القراءة ، لأن القراءة تجلب المتاعب وتتعب العقل. عرف الشجرة والبقرة والساقية.

ـــ : كان الأطفال يعرفون شيئاً واحداً هو أن الأب بمثابة (الإله) عليه أن يحضر الطعهام والماء ويدفع الإيجار و، و، و، و، و، و، و، وهكذا قانون الأشياء.

الراوى : زوجته نفيسة وهى فلاحة بسيطة تنام مبكراً وتحاول أن تستيقظ مبكرة ولكن للأسف كانت تستيقظ متأخرة لتجهز الماء للغسيل والطبخ. ولنعد إلى حكاية عبد المطيع التي حكيها لصديقه مرسى عن زوجته نفيسة (ضوء على قلب منتصف المسرح.. يجلس عبد المطيع)

عبد المطيع : **يا نفيسه.. يا نفيسه.. الماء الساخن والملح.**

نفيسه : **ليس عندى حطب.**

عبد المطيع : **لماذا لم تقولى في الصباح ؟**

نفيسه : **لأننى كنت مشغولة .**

عبد المطيع : **في أي شيء مشغولة يا امرأة ؟**

نفيسه : **مشغولة مع أولادك.**

عبد المطيع : **لماذا لم تأخذى من الجيران؟**

نفيسه : **لن أذهب إلى فاطمة ولن أحدثها ولن أذهب إلى السوق لأنه ليس عندى شيء لأقايضه ولا عندى نقود.**

عبد المطيع : **نقود.. نقود.. نقود.. ليحرق الله النقود واليوم الذى ظهرت فيه النقود.**

نفيسه : **المال يا سيدى هو لغة العصر.**

عبد المطيع : **العصر الذى يقيم فيه الرجل بالمال هو عصر مختل وسافل وجبان.**

نفيسه : **هذا هراء كلام ساذج وسخيف لا قبله أي رجل عاقل.**

عبد المطيع : **إذاً دعينى أنام (يمدد قدميه لينام)**

: **(ضوء على الكورس)**

الكورس : **كان أمام منزله شجرة توت وأخرى ليمون. وأمام المنزل بعض الفخار الملئ بالماء لعابر سبيل وعطشان يا صبايا دلونى على السبيل.**

الراوى : **العاقل من يفهم أن اسم بطلنا ليس في سجلات التاريخ السلطانى أو المملوكى وشجرة عائلية ليست مسجلة في كتب التاريخ ولا تدرس حياته في المدارس.**

الكورس : **في نفس اليوم كان متعباً واراد أن يستريح. (تتجه زوجته وتحاول جذبه من قدمه يقوم فزعاً)**

الزوجة : **ألم تسمع نريد حطباً وشعيراً.**

عبد المطيع : سمعت.

الزوجة : وماذا أنت فاعل.

عبد المطيع : لا شيء.

الزوجة : والأولاد.

عبد المطيع : بخير.

الزوجة : نريد فولاً للأطفال وشعير للحمار لا تنسى.

عبد المطيع : والجيران ماذا فعلوا.

الزوجة : لا شيء لا أحد يعطى أحداً.

عبد المطيع : إذاً دعينى أنام (يتمدد وينام)

الزوجة : ولمن أعدك ولن تنام . (تمسكه من قدميه)

عبد المطيع : سأخرج وأترك لك المنزل.

الزوجة : لن تخرج.

عبد المطيع : آه هذا زمن الأرانب.. انظرى هذا الأرنب (تنظر إلى اليسار يفلت منها ويجرى)

الزوجة : آه يا أمى.. أخرجى من القبر لترى ابنتك وماذا يجرى لها.

عبد المطيع : هذه هي الحكاية وأتيت إليك مبكراً.

مرسى : هذا شيء بسيط.

عبد المطيع : بسيط.؟

مرسى : نعم.

عبد المطيع : يداك في الماء وليست في النار.

مرسى : (ينظر إليه) ما هذا الذى ترتديه يا مغفل.

عبدالمطيع : ملابس.

مرسى : لماذا ترتدى هذه الملابس؟

عبد المطيع : أي ملابس نعم سروالى وجلبابى الأبيض.

مرسى : اذهب بعيداً عنى واخلع ملابسك.

عبد المطيع : أنا لست مريضاً يا مرسى لكى أخلع ملابسى.

مرسى : اذهب يا رجل واخلع ملابسك لو رأوك لقبضوا عليك.

عبد المطيع : (يمسكه) ماذا جرى يا مرسى.

مرسى : لا شيء .. دعنى.. دعنى من حديثك.. إذا رأتنا الشرطة ذهبت إلى الجحيم.

(يجرى مرسى ويختفى.. يبقى عبد المطيع بمفرده على المسرح)

(يسمع عبد المطيع نهيق الحمار)

عبد المطيع : أنا قادم إليك يا حمارى كنت أريد أن أحضر لك بعض الشعير من مرسى أبو العلا ولم يكمل حديثه معى لقد جرى ولم أعرف لماذا جرى.

(ينظر يجد الشيخ حمد أبو صابر الذى يسير بجواره يحمل سلة)

عبد المطيع : يا شيخ حمد.. يا شيخ حمد.

حمد : من ينادينى ؟

عبد المطيع : أنا.

(يلتفت إليه وهو يسير)

حمد : أهلاً.. كيف حالك يا عبد المطيع؟

عبد المطيع : بخير.

حمد : ماذا جرى لك.. لماذا ترتدى هذه الملابس؟

عبد المطيع : لماذا أنت أيضاً ترتدى هذه الملابس السوداء. لقد وجدت مرسى أبو العلا وأمه يرتديان ملابس سوداء وها أنا أراك ماذا جرى؟

حمد : الذى جرى.

(يسمع نهيق الحمار)

عبد المطيع : حمارى يا سيدنا منذ أمس لم يأكل.

حمد : أتعذب الحيوان؟

عبد المطيع : لماذا تحزن على الحيوان والانسان في كل لحظة يموت من المسئول عنه؟ إذا كان الحيوان جائعاً فما رأيك بالإنسان الجائع.

حمد : يا بنى الحيوان مخلوق أخرس.

عبد المطيع : والإنسان أيضاً حيوان أخرس.

حمد : يا بنى الحيوان مخلوق أخرس.

عبد المطيع : والإنسان أيضاً حيوان أخرس إذا نطق.

حمد : يا بنى أنت تكفر بنعمة السمع والنطق والبصر.

عبد المطيع : أنا لا أكفر يا مولانا لكن العين بصيره واليد قصيره.

حمد : حاول أن تشترى لحمارك أي طعام يا رجل.

عبد المطيع : اعطنى ديناراً.

حمد : ليس معى يا بنى.

عبد المطيع : سأعطيك إياه عندما نجمع محصول القطن.

حمد : ليس معى يا بنى لكن الأهم من هذا ملابسك.

عبد المطيع : أعرف إنها ممزقة وفقيرة.

حمد : ليست المشكلة في كونها ممزقة.

عبد المطيع : هل معك نصف دينار ؟

حمد : لابد أن تغير لونها .

عبد المطيع : لو معك ربع دينار لا يهم.

حمد : ليس معى.

عبد المطيع : لو عندك حبة فول وحبة شغير ستحل مشكلتى.

حمد : عليك أن تشترى صبغة.

عبد المطيع : صبغة؟ أنا لا أكل الأصباغ.. آكل الفول والفاصوليا .. أو اللحم.

حمد : يا بنى أن الشرطة؟

عبد المطيع : لا يمكن أن أطلب سلفة من الشرطة.

حمد : اسمعنى.

عبد المطيع : اسمعنى أنت .. نريد طعاماً .. زوجتى تشاجرت معى لمدة يومين نريد طعاماً للأولاد وللحمار أتفهم.؟

حمد : لك الله يا بنى.. فأنا مثلك فقير لكن المشكلة.

عبد المطيع : أية مشكلة.؟

حمد : ملابسك.

عبد المطيع : لن أتزوج مرة أخرى حتى أغير ملابسى ولست مملوكاً في قصر السلطان.. فأنا فقير والفقراء كثيرون.

حمد : دعنى.

عبد المطيع : إلى أين؟

حمد : إلى صلاة الظهر.

عبد المطيع : ماذا جرى جرى في الدنيا؟ أريد أن أدخل هذا المقهى.. أن أشرب الشاي. (يتحرك الكورس يصع مقهى)

(ترى مجموعة من الناس جالسة تشرب الشاي في المقهى.

عبد المطيع : السلام عليكم.

الجوقة : وعليكم السلام.

عبد المطيع : (يدخل يجدهم جميعاً يرتدون ملابس سوداء)

: (لنفسه) ماذا حدث في الدنيا؟ الناس كلها ترتدى ملابس سوداء ماذا جرى؟ يا ولد اعطنى شاياً ولن أدفع إلى عند جمع القطن.

(يدخل الجرسون.. يعطيه كوباً من الشاي) (في صمت)

(يدخل رجلان من الشرطة.. يقف الجميع.. وبينهم عبد المطيع.. بملابسه البيضاء كحالة شاذة)

الشرطى ١ : أنت !

عبد المطيع : (يرتجف في يديه كوب الشاي) أنا ؟

الشرطى ٢ : نعم. أنت .

عبد المطيع : أهلاً وسهلاً .. خيراً.

الشرطى ١ : هل أنت فرح وسعيد؟

عبد المطيع : نعم سعيد جداً وفرح للغاية.. الحمد لله في ظل مولانا قنصوه الغورى.

الشرطى ٢ : إذاَ لماذا ترتدى هذه الملابس.؟

عبد المطيع : لم أعلم بأننا يسنقابلكم حتى ارتدى ملابس تليق بالمقام وتليق

بالمناسبة.

شرطي ١ : وماذا كنت سترتدى ؟

عبد المطيع : عندى جلباب أخضر.. غالى الثمن.. لم أدفع ثمنه حتى الأن.

شرطي ٢ : يا سلام.

عبد المطيع : آه والله العظيم.. سأدفع ثمنه بعد محصول القطن وأظن أننى سأدفعها قبل ذلك عندما ييسرها الله.

شرطي ١ : (مقاطعاً) هيا معنا.

عبد المطيع : ألا تصدقنى ؟

شرطي ٢ : سيصدقك رئيس الشرطة.. أخبره بما تشاء.

عبد المطيع : رئيس الشرطة بنفسه وشحمه ولحمه.

شرطي ١ : نعم.

عبد المطيع : لا أنت تمزح.

شرطي ٢ : هو يريدك أنت.

عبد المطيع : أنا.. أنت تمزح لا شك.

شرطي ١ : (بصوت حاد) نحن لا نعرف المزاح.

عبد المطيع : هو لا يعرف اسمى حتى يريدنى.

شرطي ٢ : هو معجب بملابسك.

عبد المطيع : إنه سروال قديم ممزق.. متسخ وقميص حقير ما الذى يعجبه فيهما؟

شرطى ١ : إنه معجب بهما.

عبد المطيع : تعالى معى المنزل فأخلع ملابسى وأعطيها لك لتعطيها له ولا داعى لذهابى إليه هناك.

شرطي ٢ : لا أعطيها لك بنفسك.

عبد المطيع : أخلع ملابسى واعطيها له وأنا أظل عارياً بدون ملابس هل هذا كلام؟ قل كلاماً غير هذا يا رجل.

شرطي ١ : هذا هو عين الصواب.

عبد المطيع : والله.

شرطي ٢ : آه والله.

عبد المطيع : أمسك أنت الحمار وهو يأتي معى للمنزل سأذهب لأغير ملابسى وأحضر معكما.

شرطي ١ : (بغيظ) ستحضر أنت وحمارك بملابسك هذه سواء أردت أو لم ترد.

عبد المطيع : لماذا تصرخ في وجهى.. هل جننت أخلع ملابسى وأظل في الطريق عارياً.

شرطي ٢ : (يمسكه من قفاه ويسحبه) هيا أمامى.

عبدالمطيع : أنا أمزح معك.. ألا تحب المزاح؟ يا رجل دعك منهذا التصرف الأبله.. سأحضر معك لا داعى لهذا (يهمس في أذنه) الناس ستقول عنك قاسى القلب دعنى.. سأحضر معك دون ضجة.

(يتركه الشرطى)

شرطي ١ : هيا أمامنا.

عبد المطيع : أيها الناس أنا ذاهب إلى رئيس الشرطة (ينظر من حوله يكتشف أن الناس قد انفضوا من حوله وأنه الوحيد الذى وقف مع الشرطة) (للصالة)

أنا ذاهب إلى رئيس الشرطة فليذهب أحدكم إلى زوجتى وليخبرها أن تحضر لى سروالاً آخر حتى لا انفضح.

ســــــــــــتار

الفصل الثانى

: (تفتح الستار على الكورس والراوى)

الراوى : كل القاهرة نفذت الأوامر إلا هو.

الجوقة : نامت القاهرة على كتفيه مثله بالأعباء.

الراوى : نامت أحزانه الفرعونية وأحلامه العربية على وسادته.

الجوقة : حلم مثل جده الأكبر بالطيور وسأل المفرسين على معنى الطير في الأحلام.

الراوى : قال بعضهم أنها الهجرة.

الجوقة : وقال بعضهم أنها الحرية.

الراوى : وكان في نظر البعض خيراً.

الجوقة : وفى نظر البعض شراً.

الراوى : كان يكره الأهرامات لأنها قتلت جده ولا يدرى أنها رمز العبودية.

الراوى : كان يكره ولا يعرف أن هذا العصر منحنى القامة مقهور المعانى.. مندس بين أصابع المهانة.

الجوقة : لم يحلم بالملابس الحريية ولم يعرف لماذا كان يدور بالمدينة.

الراوى : لم يعلم ماذا يدور حوله.
ولقد بدأت الحكاية منذ يومين.

الراوى : منذ ليلتين، كان القصر مضيئاً وكانت الاجتماعات ولنعد إلى الحكاية لماذا تم القبض على الفلاح عبد المطيع المسكين لم يعرف ما حدث في قصر السلطان أو في المدينة وأصل الحكاية لماذا تم القبض على الفلاح عبد المطيع؟ في القصر الكبير وقبل اعتقال الفلاح عبد المطيع بيومين كان هناك اجتماع.

الراوى : يومها كان الوزير يجتمع بالمستشارين.

: (ضوء على القصر والوزير وقد اجتمع بالمستشارين)
(يفضل الديكور المتحرك البسيط – المجرد وقطع الاكسسوار

البسيطة)

مستشار ١ : وماذا يقول الأطباء؟

الوزير : قدموا كل ما لديهم من مهارة، إلا أن عين السلطان ظلت مريضة. وعندما تؤلمه عيناه يصرخ ويصيح ملعون الوزير، وأنا بدورى اهتف ملعون المستشارون.

المستشار ٢ : سيدى ما رأيك في أن تستدعى له طبيباً من الهند أو من الاستانه

الوزير : أفكارك بلهاء .. الطبيب اليمنى.. أمر بحبسه وهو الآن في السجن وإذا استدعينا طبيباً سيظل شهراً أو شهرين حتى يصل إلينا وحينئذ من سيتحمل السلطان.

مستشار ١ : أنا من رأى أن نبحث له عن جارية تجعله يشفى.

الوزير : أفكارك بلهاء، وساذجة، (يشير إلى مستشار ٢) أما أنت سيعلق جسدك على شجرة وسيدهنه بالعسل ويدعك للذباب أما أنا فسيحرقنى . أو يقطع رقبتى ويعلقها على باب زويله.

مستشار ١ : لنعلن عن مكافأة عينية أو رمزية لمن يشفى عين السلطان قنصوة الغورى.. أدامه الله وشفاه و عافاه.

الوزير : كف عن كلماتك المعسولة.. لقد شاهدت السلطان أمس يصرخ في كل من حوله ويلعنهم ولعننى ولعن أهلى ولعن كل من رآه يرتدى ملابس مزخرفة.

المستشار ١ : إذاً مولانا لا يريد أن يرتدى أي شخص ملابس مزخرفة.

الوزير : نعم .. وسبنى لأنه وجدنى ارتدى ملابس بيضاء.

المستشار ٢ : فلتعلن الحزن العام في البلاد وليرتدى الجميع ملابس سوداء لحين شفاء السلطان.

الوزير : نعم، هذا رائع .. أفكارك أحياناً تكون رائعة يا ملعون.

مستشار ٢ : ويدور الجميع على أبواب المساجد ليصلوا ركعتين بعد كل صلاة داعين الله لشفاء عين مولانا السلطان شفاه الله وعافاه.

مستشار ١ : وعلى الناس أن تمتنع عن الزواج.

مستشار ٢ : وعلى الناس أن لا تقرع الطبول ولا تردد الغناء.

الوزير : ليشف الله حاكمنا وراعينا وبانى امتنا ونهضتنا.. مولانا السلطان آدام الله عمره.

مستشار ١ : وأمد في بقائه.

مستشار ٢ : ولنصدر فرماناً سلطانياً في كل البلاد.

الوزير : نعم يصدر فرمان في الحال حتى لا تشعر السلطان بأنه وحيد في محنته وأنه بمفرده لابد أن تحزن الأمة معه.

(صوت الطبول تدق ويخرج المنادى على المسرح يختفى الضوء من على الوزير والمستشارين ويظهر المنادى وخلفه حاملوا آلات الإيقاع يدقون عليها يجتمع الناس حولهم)

المنادى : يا أهل القاهرة.. يا أهل المدينة الظافرة.. فرمان.. فرمان.. من سيدنا الوزير إلى الشعب العظيم (يفتح الورقة) بسم الله والحمد لله والحاضر يبلغ الغائب سيدنا السلطان مريض.. شفاه الله وعافاه وباسم السلطان نعلن الحداد في البلاد.

وترتدى كل البلاد الملابس السوداء ولا يرتدى أحد أي زى آخر، فالرجال والأطفال ولانساء كلهم يرتدون ملابس سوداء ويمنع أولاً: الاحتفال بالختان، ثانياً: الاحتفال بالعرس أو بأى احتفال لحين شفاء السلطان ويصلى الجميع ركعتين بعد كل صلاة طالبين من الله الشفاء لعين السلطان قنصوه الغورى.. عاش السلطان شفاه الله وعافاه ومن يخالف الأوامر يتعرض لعقاب سيدنا الوزير الرجل الطيب الرجل الكريم الحكيم، وما على الرسول إلا البلاد.. فرمان.. فرمان.. (يتحرك إلى خارج المسرح ويعيد الفرمان)

رجل ٢ : يعنى هذا أننا سنغير ملابسنا هذه بملابس سوداء.

رجل ١ : ومن أين نشترى الزى الأسود والضرائب قصمت ظهورناً.

رجل ٣ : علينا بالصباغ.

الكورس : وارتدت كل المدينة السواد.. إلا هو عبد المطيع.

الراوى : **دعونا نر ماذا حدث ؟**

: **(ضوء على قلب منتصف المسرح.. مكتب رئيس الشرطة وقد أمسكوا بعد المطيع أمام رئيس الشرطة)**

: **(ضوء احمر على رئيس الشرطة)**

رئيس الشرطة : **أنت..؟ (يشير إلى عبد المطيع)**

عبد المطيع : **والله لم أعلم إنك تريدنى.. لم يعطونى الفرصة كى أغير ثوبى وأرتدى الثوب الجديد.**

رئيس الشرطة : **(يشير إلى ثوب عبد المطيع المهلهل الأبيض) هذا الثوب يعجبنى**

عبد المطيع : **معقول؟**

رئيس الشرطة : **والله.**

عبد المطيع : **يا رجل إنه ممزق.**

رئيس الشرطة : **(يضحك بتمثيل) والله يعجبنى.**

عبد المطيع : **ثوبى هذا يعجبك وأنت رئيس الشرطة.**

رئيس الشرطة : **نعم.**

عبد المطيع : **إذاً تعال نتبادل الملابس أنت ترتدى ملابسى وأنا ارتدى ملابسك (يبدأ في خلع ملابسه)**

رئيس الشرطة : **قف يا أبله لا تتحرك .. (بصوت خشن وغاضب..)**

عبد المطيع : **(يضحك بخوف ويشير للشرطيين) إنه صديقى (يشير لرئيس الشرطة) معجب بثوبى الممزق.**

رئيس الشرطة : **أنت ترتدى هذه الملابس.**

عبد المطيع : **والله لو أعلم لاحضرت لك كل ملابسى ولو أنها كلها ممزق.. أنت حر.. هات ملابسك وخذ ملابسى.. لأول مرة أعلم أنك معجب بثيابى.**

رئيس الشرطة : **(يمسك السوط في يديه) أنت تتحدانى وتتحدى السلطان.**

عبد المطيع : **والله لو أعلم أن السلطان هو الآخر معجب بملابسى لاعطيتها له وهو يعطنى ثوباً واحداً فقط من ملابسه آخذه معى.**

رئيس الشرطة : (يضرب بالسوط في الهواء)

عبد المطيع : لا تغضب يا أخذ ملابسى ولا أريد منه إلا قطعة ذهب.

رئيس الشرطة : (يضرب بالسوط في الهواء)

عبد المطيع : لا تغضب خذ أنت السروال وهو يأخذ القميص.

رئيس الشرطة : (يضرب بالسوط في الهواء)

عبد المطيع : خذ أنت الذراع الأيمن والقدم اليمنى وهو يأخذ القدم اليسر والذراع الأيسر.

رئيس الشرطة : خذ أنت الذراع الأيمن والقدم اليمنى وهو يأخذ القدم اليسر

عبد المطيع : لا تغضب .. أنت ترتديها يوماً و السلطان يوماً.

رئيس الشرطة : (يدور حوله ويضرب بالسوط في الهواء)
كفى مزاحاً يا رجل.

عبد المطيع : (هامساً لرئيس الشرطة) لا ترفع صوتك هكذا أمام الشرطة.. إنهم يسكنون بالقرب منى.. لا داعى للغضب.. خذ الملابس لك ولن أخبر السلطان.

رئيس الشرطة : (وهو يدور من حوله) أنت يا رجل متآمر.

عبد المطيع : نعم ؟ (بدهشه واستغراب)

رئيس الشرطة : تعلن العصيان.

عبد المطيع : ما تقول ؟

رئيس الشرطة : ترفض الاستجابة والخضوع والمثول لأوامر السلطان.

عبد المطيع : الشعير في السوق شحيح.

رئيس الشرطة : تدعو للثورة.

عبد المطيع : الحمار جائع.

رئيس الشرطة : رموز وغموض وكلمة السر التي بحثنا عنها.

عبد المطيع : الفول اختفى من الأسواق.

رئيس الشرطة : اسمك.

عبد المطيع : عبد المطيع.

رئيس الشرطة : ماذا تعمل ؟

عبد المطيع : فلاح.

رئيس الشرطة : (يسجل أحد الشرطة) كم فداناً تملك؟

عبد المطيع : (يضحك) لا شيء.

رئيس الشرطة : إذاً كيف تعيش؟

عبد المطيع : أجير .. أنا فلاح أجير..

رئيس الشرطة : نأمر بحبس المتهم أسبوعاً على أن يتلقى عناية خاصة حتى يعرف معنى الامتثال لأوامر السلطان.

: (يسحبه الشرطيان)

(الضوء يختفى على المسرح)

(ضوء على يمين المسرح.. منزل عبد المطيع)

ام بثينة : يا بثينة.. يا بثينة.

بثينة : نعم.

ام بثينة : أبوك.. لم يحضر حتى الآن.

بثينة : ربما ذهب إلى القطن.

ام بثينة : لا أدرى (تنظر إلى بيت فاطمة)

بثينة : يا أمى.

ام بثينة : سأنتظره هنا.. حتى يخرج من عندها.

: (ظهور مهند)

مهند : السلام عليكم.

ام بثينة : أين كنت يا فارس ؟

مهند : اتسخرين منى.

بثينة : هل شاهدت أبى يا مهند

مهند : لم أره.

أم بثينة : أبوك هنا كما قلت لك (تشير إلى فاطمة)

مهند : أين ؟

بثينة : لا أدرى...

: (ظهور فاطمة تخرج وهى تحمل القلة) (تغنى)

فاطمة : كيف حالك يا مهند؟

مهند : كيف حالك يا فاطمة؟ كيف حال أبوك؟

ام بثينة : حتى أنت تنظر إليها؟

مهند : نعم.

بثينة : يا أمى.

مهند : كيف تأخر عبد المطيع ؟

فاطمة : ألم يحضر حتى الآن؟

ام بثينة : أتعرفين أين هو يا ست فاطمة..؟

فاطمة : لا أدرى.

أم بثينة : أخرجيه ربما تحت السرير.

فاطمة : إن بعض الظن أثم.

أم بثينة : والنبى ؟

: (ظهور الشيخ حمد)

الشيخ حمد : السلام عليكم.

الجميع : وعليكم السلام.

الشيخ حمد : ألم تسمعوا وأنتم هنا؟

الجميع : ماذا حدث ...؟

الشيخ حمد : عبد المطيع وحماره.

الجميع : ماذا جرى ؟

فاطمة : ماذا جرى يا شيخ حمد ؟

ام بثينة : هل باع الحمار ؟

الشيخ حمد : يا ليت .

مهند : هل مات الحمار.

بثينة : مسكين يا أبى .. مات حمارك .. مات.. صديقك..

الشيخ حمد : يا ناس اعطونى فرص كى اتحدث.

الجميع : تحدث.

الشيخ حمد : قبضوا عليه.. قبضوا على عبد المطيع وحماهر.

الجميع : قبضوا عليه.

الشيخ حمد : نعم قبضوا عليه هو حماره.

(مشـــــــــهد)

: (غرفة السجن وقد دخل عبد المطيع وهو يصرخ)

عبد المطيع : آه.. آه.. قدمى.. ظهرى.. رأسى.. بطنى..

: (ينظر يجد شيخاً عجوزاً.. ورجلاً آخر يجلس في الركن)

عبد المطيع : بطنى (ينظر للرجل العجوز) قدمى.. ظهرى.

العجوز : (ينظر إليه) أنت مصاب إصابات خطيرة.

عبد المطيع : ابتعد عنى يا رجل.

العجوز : أنا طبيب.

عبد المطيع : وماذا تريد منى ليس عند أجر أدفعه لك؟

العجوز : أجر؟ لقد طمعت في المكافأة التي سأحصل عليها من شفاء عير السلطان والطمع قل مع جمع.. فسجنت لأن عين السلطان لم تشف.

عبد المطيع : وهذا (يشير للرجل الآخر)

العجوز : إنه طبيب هندى طمع في المكافأة أيضاً وفى الزواج من جارية من المماليك ففشل ونال نصيبه في السجن.. وأنت هل أنت طبيب؟ (يسمع صوت نهيق الحمار)

عبد المطيع : نعم (يضحك)

العجوز : ولماذا تضحك؟

عبد المطيع : لأنى لم أمرض يوماً ولم أذهب إلى طبيب.

العجوز : إذاً لماذا ضربوك؟

عبد المطيع : حكموا على بخمسين جلده كل صباح وكل مساء لمدة أسبوع.

العجوز : لماذا ؟

عبد المطيع : لم أعلم.

العجوز : بماذا ؟

عبد المطيع : أن السلطان ورئيس الشرطة يريدان ثوبى ويتشاجران من أجله.

: (يفتح الباب.. يدخل الحارس)

الحارس : عبد المطيع.

عبد المطيع : نعم.

الحارس : تقدم.

عبد المطيع : ماذا جرى..؟

الحارس : ألم تدر ماذا جرى.. تتحدى السلطان وترتدى ملابس بيضاء..؟

عبد المطيع : ملابس بيضاء؟

العجوز : فهمت الآن؟

عبد المطيع : ماذا فهمت ؟

العجوز : إنك ترتدى ملابس بيضاء وأوامر السلطان أن ترتدى ملابس سوداء حتى تشفى عين السلطان.

عبد المطيع : والله.

ظـــــــــــلام

(مشـــــهد)

: (منزل عبد المطيع وتجلس فاطمة أمام منزلها أمام أم بثينة.. وقد جلسة بثينة ومهند)

فاطمة : يا سيد الرجال.

ام بثينة : عمن تتحدثين؟

فاطمة : عن خالى.

ام بثينة : خالك مات من عشر سنين.

فاطمة : انا حره.

ام بثينة : أين أنت يا أبو العيال (تبكى)

فاطمة : يا طيب القلب.

ام بثينة : (تتوقف عن البكاء) من ؟

فاطمة : خالى.

ام بثينة : طيب.

مهند : (لبثينة) سيخرج اليوم كما عرفت.

بثينة : يقولون أنهم ضربوه هو وحماهر.

مهند : على ما يبدو.

(صوت الحمار قادم من بعيد)

فاطمة : هذا صوت حماره.

ام بثينة : من ؟

فاطمة : عبد المطيع.

: (يدخل عبد المطيع على حماره وخلفه مجموعة من الناس ترتدى ملابس سوداء)

عبد المطيع : آه.

بثينة : أبى.

فاطمة : عبد المطيع.

ام بثينة : ابتعدى عنه.. (تبعدها)

فاطمة : سلامتك.

مهند : حمد لله على سلامتك.

عبد المطيع : الصبغة السوداء يا مهندس مهند بثينة.. صبغة سوداء ادهن لى البيت.. اصبغ لى الملابس.. الجدران.. الشجر منزل فاطمة.. الحمار حتى الحمار ادهنه أسود يا مهند وأزوجك بثينة في الحال.

مهند : سأحضر الصبغة في الحال.

: (ظلام على المسرح)

(مشـــــهد)

: (المسرح وقد دهن كله بالأسود.. منزل عبد المطيع وقد دهن باللون الأسود وملابس سوداء مشدود على الحبال أمام الدار.. ظهور أم بثينة وهى ترتدى ملابس سوداء تصرخ)
(ظهور بثينة خلفها)

ام بثينة : لن أقبل أبداً.

بثينة : يا أمى لقد وعده أبى.

ام بثينة : تتزوجين في صمت دون احتفال.

بثينة : أوامر السلطان لا أحد يتزوج في ضجيج.. لا احتفالات بختان أو زواج أو غير ذلك.

أم بثينة : انتظرى اذن حتى تشفى عين السلطان.

بثينة : يا أمى الشيخ حمد المأذون سيأتى اليوم.

أم بثينة : لن أدعه يدخل بيتى ولن يأخذك هذا المعتوه الذى يدعى مهند.

بثينة : إذاً سيموت أبى غير مستريح البال.

عبد المطيع : (صوت الأب من الداخل) آه.. آه..

ام بثينة : هذا لن يموتو!.. تموت كل البشر إلا هذا سيظل حياً يتنفس

هكذا.. أنا أعرفه.

عبد المطيع : (من الداخل) آه .. آه..

ام بثينة : أنا قادمة إليك (تدخل أم بثينة وخلفها بثينة) (ظهور الشيخ حمد ومهند)

مهند : هو وعدنى.

الشيخ حمد : يا بنى الرجل في غيبوبة.

مهند : إنه عندما يرانى سيستيقظ.

الشيخ حمد : يا بنى زوجته تقول إنه فاقد الوعى دائماً (تخرج فاطمة من باب كوخها)

فاطمة : إنه بخير.. ما دامت هذه المرأة بعيداً عنه.

الشيخ حمد : (ينظر إلى فاطمة وجمالها) كيف أبوك يا فاطمة ؟

مهند : (ينظر للشيخ) شيخ حمد.

الشيخ حمد : نعم يا بنى.

فاطمة : إنى بخير ولكن ما أقوله لك اسمعه جيداً يا شيخ حمد.

الشيخ حمد : كلى آذان صاغية.

فاطمة : لابد من زواج بثينة ومهند اليوم.

ام بثينة : (تظهر من الداخل) لن يحدث هذا.

الشيخ حمد : استغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ام بثينة : اسمع يا شيخ.

مهند : اسمعنى أنت يا شيخ حمد.

بثينة : لا بل اسمعنى أنا يا شيخ حمد.

مهند : سأتزوجها.

عبد المطيع : (صوته من الداخل) نعم.. زوجها إياه يا شيخ حمد.

الشيخ حمد : (يجرى إلى داخل الكوخ) سمعاً وطاعة يا عبد المطيع (يدخل خلفه مهند وبثينة وتبقى أن بثينة وفاطمة)

ام بثينة : لن يتزوجها.

فاطمة : سيتزوجها.

ام بثينة : أنت أمها ؟

فاطمة : لا.

ام بثينة : اختها ؟

فاطمة : لا.

ام بثينة : قريبة لها ؟

فاطمة : لا.

ام بثينة : إذاً لماذا تحشرين أنفك فيما ليس لك به علم ؟

فاطمة : أنا جارتكم وللجار حقوق.

ام بثينة : يا ناس هذه المرأة ستذهب عقلى.

: (تدخل إلى البيت)

(ظهور مجموعة من الأشخاص قادمين يدخلون)

: (الجميع يرتدون ملابس سوداء)

رجل ١ : يا عبد المطيع.

رجل ٢ : يا مهند.

رجل ٣ : يبدو أنه لا يوجد أحد.

مهند : (يخرج مهرولاً) باركوا لى.

رجل ١ : مبارك.. ماذا حدث.

رجل ٢ : هل شفى عبد المطيع.

مهند : لا لقد تزوجت بثينة.

الجميع : مبارك.

أحدهم : ممنوع الضحك.. بأمر السلطان.

(يصافحونه كأنهم في جنازة)

(مشـــــهد)

: (على المقهى ويفضل الديكور التجريدى البسيط)

رجل ١ : يقال إن عبد المطيع كان زعيماً لحركة مناهضة.

رجل ٢ : يقال أنه ارتدى الملابس البيضاء عناداً في السلطان.

رجل ٣ : هذا الرجل غريب.. لم يأت يوماً للمقهى.

مهند : (ظهور مهند قادماً) السلام عليكم.

رجل ١ : أهلاً يا مهندس كيف حال زوجتك ؟

مهند : بخير.

رجل ١ : ظننتك ستغيب بعد ليلة الزواج.

مهند : الجوع لا يعرف الكسل.

رجل ٢ : وكيف حال عبد المطيع ؟

مهند : ما زال متعباً.. يروح في غيبوبة.

رجل ٣ : من الأفضل له أن لا يفيق ليرى ما نحن فيه.

رجل ٢ : اسكت يا رجل.

مهند : سمعت إنهم أفرجوا عن الأطباء ، في القصر... هل هذا صحيح.
(اختفاء الإضاءة من على المقهى في يمين المسرح إضاءة في يسار المسرح على قصر الوزير)

الوزير : نعم افرجنا عن الأطباء.

المستشاران : وهل هذا لا يغضب السلطان؟

الوزير : إن السلطان يهمه أن تكون السمعة الخارجية للبلاد جيدة.

المستشاران : وهذا عين الصواب.

مستشار ١ : ومتى سيغادران؟

الوزير : سيتسوقان ويغادران.

مستشار ١ : وهل ستتركهما في السوق؟

الوزير : نعم .. وعيوننا حولهما.

مستشار ١ : وهل شفيت عين السلطان..

الوزير : الحمد لله.

مستشار ١ : وكيف ستكون الاحتفالات.

الوزير : هذا ما اجتمعنا اليوم من أجله.

مستشار ١ : نحضر المطربين والمطربات والراقصين والراقصيات من كل ركن من أركان الدنيا ليغنوا للسطان.

الوزير : لا يكفى .. والشعب ؟

مستشار ٢ : الشعب يحب الرقص والغناء.

الوزير : لابد أن يكون للشعب احتفالات خاصة.

مستشار ١ : اقترح.

الوزير : ماذا ؟ قل في الحال.

مستشار ١ : يصدر فرمان.

الوزير : في الحال.

: (ضوء على قلب منتصب المسرح والمنادى يحمل الطبول وينادى)

المنادى : يا أهل القاهرة.. يا أهل القاهرة .. يا أهل المدينة الظافرة .. فرمان من مولانا السلطان.. تقر ما هو آت.. أن ترتدى المدينة الملابس البيضاء وأن تقام الزينات.. وأن تلغى الجنازات والموت في صمت أفضل من الضوضاء وأن لا يرتدى أي كائن ملابس سوداء .. وأن تقام الأناشيد والاحتفالات في كل ركن من أركان البلاد.. وأن يذهب كل فرد من الأطفال والنساء والرجال إلى قصر مولانا لتناول الطعام وبعد أن يفرغ أي شخص من التناول يأخذ قفة قمح وشعير.. لقد استجاب الله لكم والله خير من يجزى الصابرين يا أهل القاهرة.

رجل ١ : إلى قصر السلطان.

رجل ٢ : اخلع ملابسك السوداء.

رجل ٣ : الكل يهرع للقصر.. هيا بنا.

: (يجرون)

(زوجة عبد المطيع تقف أمام الدار وأولادها التسعة كل منهم

يمسك قفة في يده)

(الكل يرتدى ملابس بيضاء)

ام بثينة : يا أولاد.. كل منكم يأكل جيداً أولاً.. ويأخذ قفة القمح والشعير ويحضرها إلى هنا ثم يجرى إلى القصر مرة ثانية ويملأ القفة... أتفهمون؟

طفل ١ : نعم يا أمى.

ام بثينة : هيا .

طفل ٢ : وأبى ؟

ام بثينة : أبوك في غيبوبة.

(تذهب أم بثينة .. مع الأطفال ثم تتذكر فتعود فتطرق باب فاطمة)

ام بثينة : يا فاطمة.. يا فاطمة.

فاطمة : (تظهر رأسها) نعم يا أم بثينة.

ام بثينة : هل سمعت الفرمان؟

فاطمة : نعم.

ام بثينة : ألن تذهبى.

فاطمة : سأذهب بعد قليل.

ام بثينة : تعالى معى حتى نتحدث في الطريق.

فاطمة : منذ متى وأنت تذهبين معى إلى أي مكان؟

ام بثينة : من الأن بعد شفاء السلطان.

فاطمة : سأذهب بعد قليل.

ام بثينة : والله لن اذهب إلا معك ؟

فاطمة : لا تخافى فزوجك في غيبوبة لن يفيق بسهولة.

ام بثينة : تعالى حتى نتسلى.

(ظهور مهند وبثينة) (بثينة تنظر إلى أخوتها)

بثينة : إلى أين يا أمى.

ام بثينة : إلى قصر السلطان.. سمعت الفرمان؟

مهند : كيف حال العم عبد المطيع.

ام بثينة : العم عبد المطيع مسكين في غيبوبة.

: (ظهور الطبيب العجوز)

العجوز : السلام عليكم.

مهند : وعليكم السلام.

العجوز : هل هذا منزل العم عبد المطيع.

مهند : نعم أي خدمة.

العجوز : أنا طبيب.

ام بثينة : ليس معنا نقود ولن ندعوك.

فاطمة : معى عشرة قروش.

العجوز : (يضحك) أنا لم آت من أجل عشرة قروش.. أنا أتيت له.

بثينة : تعرفه؟

العجوز : نعم.

بثينة : أين ؟

العجوز : في السجن.

طفل ١ : عينى تؤلمنى.

طفل ٢ : وأنا معدتى.

الطبيب : اذهبوا إلى القصر حتى تأكلوا اللحم (يحدث الأطفال فيذهبوا)

مهند : إنه بالداخل.. تفضل !

: (يدخل الطبيب العجوز مع مهند)

بثينة : إنه أتى متطوعاً.

فاطمة : الدنيا ما زالت بخير.

ام بثينة : هذا طبيب السلطان.

فاطمة : يقول أنه سجيناً.. يعنى فشل في معالجته.

ام بثينة : فشل (تجرى إلى الداخل) دع زوجى يا رجل يا فاشل.

بثينة : يا أمى (تجرى خلفها)

فاطمة : المرأة المجنونة.

(تخرج أم بثينة ومعها الطبيب العجوز وقد امسكته من ملابسه)

ام بثينة : دع زوجى.

العجوز : ما بك يا امرأة؟ لم اكشف على الرجل.

ام بثينة : انت فشلت في معالجة عين السلطان.

العجوز : نعم ولكن.

ام بثينة : ولذلك سجنوك.

العجوز : نعم.

مهند : يا خالتى.

ام بثينة : اخرس أنت لا تتحدث.

بثينة : يا أمى.

ام بثينة : اخرسى أنت.

بثينة : خرست.

العجوز : الرجل في غيبوبة نفسية منك.. (يخرج)

مهند : انتظر يا طبيب.

العجوز : لن انتظر انا سأغادر هذه المدينة سلطانها يسجننى وأمرأة تضربنى.

مهند : لا يصح يا أم بثينة.

ام بثينة : هيا بنا قبل أن يأكلوا اللحم هيا بنا يا مهند يا رجل.. خذنا معك.

مهند : هيا..

: (يخرج جميعاً ومعهم فاطمة)

المسرح خال : يظهر عبد المطيع.. ملابسه سوداء من الباب وقد أفاق على ضجيج.

عبد المطيع : ماذا حدث في الدنيا؟ ما هذا الضجيج؟ أين ذهب الجميع؟. لابد أنهم ذهبوا إلى السوق.. يا ولد.. يا حسن.. يا على.. يا إبراهيم.. لا أحد.. يا بثينة.. يا مهند.. لا أحد .. يا فاطمة.. لا أحد.

: (ينظر للحمار يجده ينهق وقد صبغ باللون الأسود) أنت هنا تنتظرنى.. تعال لنتمشى قليلاً.. تعالى معى.

(إضاءة خافتة على المسرح.. عبد المطيع وحماره يسيران)

عبد المطيع : لا أحد.. المدينة ماتت.. أم ماذا جرى فيها يخرج عبد المطيع إلى قلب منتصف المسرح.

: (ظهور شرطي ١ وشرطى ٢ على المسرح يرتديان ملابس بيضاء ولا يلاحظ الملابس البيضاء)

عبد المطيع : ماذا حدث؟

شرطي ١ : أهلاً.. أنت مرة ثانية؟

عبد المطيع : (يزهو) نعم.

شرطي ١ : وترتدى هذه الملابس؟

عبد المطيع : ملابسى كما أمر رئيس الشرطة.

شرطي ١ : أنت مطيع.

شرطي ٢ : إن اسمك مطاوع.

عبد المطيع : العم عبد المطيع.

شرطي ١ : يريدك رئيس الشرطة.

عبد المطيع : سلم لى عليه وأخبره اننى بخير.

شرطي ٢ : يريد الاطمئنان عليك.

عبد المطيع : ولكن أنا متعب.

شرطي ٢ : لكنه يصر على مشاهدتك.

عبد المطيع : الحمار جائع.

شرطي ١ : أنت والحمار.

عبد المطيع : بارك الله فيكما.

(يخرجان وهما يشدانه ومعه الحمار)

الراوى : أين المصابيح يا رجال لهذا الرجل.

المصابيح مفقودة.

خارج القصر الأبواب والنوافذ مغلقة.
هذه السكة أمامكم.
إنه النفاق.. لم يدر الرجل أن الفرمان قد صدر بارتداء الملابس البيضاء من يحمل هموم عبد المطيع؟ النجمة؟ البحر؟ السيف؟ الزهور؟

الجوقة : كل الأيام مطعونة.
الشريف فينا مطعون.
ينزف والأصحاب والرفاق يطلقون عليه الضحكات.
هذا زمن ردئ.
هذا زمن الجنون.
أين التاريخ لينزل من عليائه ليرى الشوارع ليرى ماذا يفعل الملوك والسلاطين بالشعوب.
(ضوء على قلب منتصف المسرح.. رئيس الشرطة وقد وقف أمامه عبد المطيع)

رئيس الشرطة : أنت (ينظر رئيس الشرطة إلى ملابسه) بهذه الملابس.

عبد المطيع : نعم صبغتها بالأسود والقميص والسروال والأولاد والجدران والحمار. الكل باللون الأسود.

رئيس الشرطة : ألم تسمع الفرمان الصادر أمس.

عبد المطيع : (بدهشة) هذا أول يوم لى اخرج فيه من منزلى!

رئيس الشرطة : ألم تسمع ؟

عبد المطيع : (يفتح قميص صدره وقد دهن جسده باللون الأسود)
لقد دهنت حتى جلدى باللون الأسود.. أخبر السلطان إنى حزين وزوجتى وأولادى من أجله.

رئيس الشرطة : (يجلس على مكتبه ويكتب) يؤمر بحبس المدعو عبد المطيع سبعة أيام هو والحمار (يمسكونه)

الراوى : أمضى سبعة أيام زوجته وابنته وفاطمة يبحثون عنه.

(الزوجة والابنة وفاطمة ومهند يدورون في أرجاء المسرح)

الجوقة : خرج عبد المطيع من السجن في اليوم السابع.

(يظهر عبد المطيع على المسرح وعلى جسده آثار الضرب.. يخلع كل ملابسه حتى يصبح عارياً إلا من سرواله)

عبدالمطيع : أي الألوان تحب أن ارتدى يا مولاى أي ا لألوان تحب أن ارتدى؟ الأحمر أم الأخضر أم الأصفر.. أم الأسود أو الأبيض يا أولاد الكلب؟

الراوى : في القاعة الكبيرة.

حيث الصمت.

أمام عرش السلطان قنصوه الغورى.

الجوقة : وقف كالطائر الحزين.

الفلاح العم عبد المطيع.

(الضوء في منتصف المسرح.. عبد المطيع أمام كرسى العرش عارياً والوزير والمستشارين)

السلطان : (يضحك) لقد أعجبتنى قصتك عندما سمعت بها قررت تعيينك يا عبد المطيع قاضى القضاة.

(يصفق رجال الحاشية)

عبد المطيع : لا يا سيدى.. أنا لا أريد أن أكون قاضى القضاة.. أنا أريد أن أكون من العراة.

(يضحكون بينما هو يبكى)

ســـــــــتار ببطء

السيد حافظ

الكويت ١٩٧٩ – ١٩٨١